

المستطرف

في كل فن مستطرف

لأبي الفتح الأبهشي

محمد رجب





سلسلة الموسوعة التراثية للشباب

المستطرف في كل فن مستظرف! لأبي الفتح الأبهشي

بقلم

ملحد رجب

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

المستطرف في كل فن مستظرف للعلامة بهاء الدين أبي الفتوح - الرياض

٣٠ ص، ١٧×٢٢ سم - (الموسوعة التراثية للشباب)

ردمك: ٩٩٦٠-٢٠-٩٧٩-٢

١- الأدب العربي-مجموعات ٢- الأبيهي، محمد بن أحمد ت ٨٥٠هـ

ب- السلسلة

أ- العنوان

٢٢/١٥٣٢

ديوي ٨١٠، ٨

رقم الإيداع: ٢٢/١٥٣٢ ردمك: ٩٩٦٠-٢٠-٩٧٩-٢

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناسر

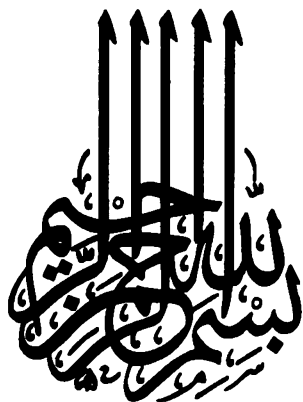
الناسر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروية

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



التعريف بالمؤلف:

هو العلامة محمد بن أحمد بن منصور بهاء الدين أبوالفتح الأبشيهي المحلي بلداً الشافعي مذهباً.

ولد رحمه الله تعالى بأبشويه عام تسعين وسبعمئة وتوفي عام خمسين وثمانمئة هجرية، فَعُمِّرَ ستين سنة، وكان من حَفَظَةِ القرآن الكريم، ومن كبار الصالحين الزاهدين.

رحل الأبشيهي مراراً إلى القاهرة، ودرس الدين والفقه على كبار شيوخ عصره كالجلال البلقيني والشهاب الطليايوي، وبعد وفاة والده تولى التدريس ببلدته.

وللعلامة الأبشيهي كتب وتصانيف عديدة في شتى العلوم والفنون، ومنها كتاب (في صناعة الترسل)، وكتاب (أطواق الأزهار) في الوعظ في مجلدين، بالإضافة إلى كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) .. وهو أروع كتبه على الإطلاق.

(كتاب المستظرف في كل فن مستظرف)

يقول الأبشيهي في مقدمة كتابه (المستظرف) عن الغرض من تأليف كتابه: «فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب

والمواعظ والحكم، وبسطوا مجلدات في التاريخ وال نوادر والأخبار،
والحكايات، واللطائف ورقائق الأشعار، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة، تفرد
كل منها بفوائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة، فاستخرت الله
تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف، وجعلته مشتملاً على
كل فن ظريف، وسميته (المستطرف في كل فن مستظرف)، واستدلت
فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم، وأحاديث صحيحة، من أحاديث النبي
الكريم ﷺ، وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار، ونقلت فيه
كثيراً مما أودعه الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) وكثيراً مما نقله ابن
عبدربه في كتابه (العقد الفريد)، ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما
يقصد ويريد .

والحق أن الكتاب بأبوابه الأربعة والثمانين يعد من الموسوعات النادرة
التي لا غنى عنها في حقل الأدب واللغة والعلم والدين والأخلاق .

ففي الأدب يشتمل على الشعر والشعراء، والسرقات الشعرية، وملح
ونوادر عن الشعراء والفصحاء والبلغاء والخطباء .

وفي العلم يتحدث عن فضل العلم وأهله، وعن مكانة العلماء في
شتى العصور والأزمان، بطريقة بديعة، وبدقة لا مثيل لها .

أما في حقل الدين فحدث -عزيزي الشاب- ولا حرج عن عرضه الشيق في باب محاسن الأخلاق ومساوئها، وعن ما ساقه في باب الصلاة على النبي ﷺ .. وعن مباني الإسلام، وفضل القرآن والحكم والأمثال القرآنية، وعما تضمنه كتابه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وحكايات الصالحين.

والخلاصة: أن الكتاب موسوعة متفردة في بابها، ورغم اعتماد صاحبها الواضح على الزمخشري وابن عبدربه في كتابيهما (ربيع الأبرار، والعقد الفريد)، فإن العلامة الأبشيهي فاقهما في حسن العرض وروعة السرد وجمال السبك.

* * *

والآن .. هيا عزيزي الشاب .. نستمتع بجولة حافلة مع صاحبنا العلامة محمد بن أحمد بن منصور، بهاء الدين أبي الفتح الأبشيهي وكتابه البديع: (المستطرف في كل فن مستظرف) .. ونبدأ الجولة بالوقوف على محظته الجميلة في محاسن الأخلاق ومساوئها.

* * *

يتحدث العلامة الأبشيهي عن محاسن الأخلاق، ويبدأ موضوعه بذكر حديث عائشة عن الرسول ﷺ إذ قالت: «كان خُلُقُه القرآن»، ثم يذكر

بعض المواقف التي يتجلى فيها حسن الخلق، ويقف طويلاً أمام آداب المعاشرة، والرحمة، والشفاعة، والإخلاص لله تعالى، ويشيد بأركان الإسلام الخمس: الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج، وعن الدعاء وآدابه، وينتهي بذكر فضل الصلاة على النبي ﷺ.

محاسن الأخلاق ومساوئها:

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»، وقال ﷺ: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»، وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: أكرم ولد آدم على الله عز وجل، أعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله، أتي بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى، وكان يأكل على الأرض ويجلس على الأرض، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»، ولا يأكل متكئاً ولا على خوان^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول، وكان يأكل القثاء بالرطب، ويقول: «برد هذا يطفئ حرّاً هذا» وكان أحب الطعام إليه اللحم. وكان ﷺ يقول: «إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق فإنه أوسع

(١) الخوان: المائدة التي يوضع عليها الطعام.

وأبلغ للجيران». وكان يحب الدباء^(١)، وكان يكتحل بالإثمد^(٢). يخطط ثوبه بيده، وكان يضحك من غير قهقهة، ويرى اللعب المباح ولا ينكره، وكان يسابق أهله، قالت عائشة رضي الله عنها: سابقته فسبقته، فلما كثر لحمي سابقته فسبقني، فضرب بكتفي وقال: «هذه بتلك».

وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم في مأكلا ولا مشرب ولا ملبس، وهو أُمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في أمة أُميَّة^(٣) نشأ يتيماً لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى محاسن الأخلاق.

آداب المعاشرة والمجالسة:

يتعين على المجلس أن يراعي ألفاظه ويكون على حذر من أن يعثر لسانه، خصوصاً إذا كان جليسه ذا هيبة، فقد قيل: رب كلمة سلبت نعمة.

(١) الدباء: القرع.

(٢) الإثمد: حجر صلب يسحق ويكتحل به، وأكثر من يستعمله أهل مكة والمدينة واليمن والعرب عموماً.

(٣) كان العرب في الجاهلية متفرقين، لا ملك يجمعهم، ولا دستور ينظمهم، ولا قانون يحكمهم، فجاء الإسلام فرفع من شأنهم، وألان ما استصعب من أخلاقهم، وجعلهم سادة العالم وهداته ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾، فلا حول ولا قوة إلا بالله..

وفي نوابغ الحكم: أكرم حديث أخيك بإنصاتك، وصنه من وصمة التفاتك.

وقال عطاء بن أبي رباح: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط، وقد سمعت به من قبل أن يولد.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن المسلمَين إذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر.

وقيل: البِشْرُ يدل على السخاء، كما يدل النور^(١) على الثمر، وقيل: من السنة إذا حدثت القوم ألا تقبل على واحد منهم، ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيباً.

نُدرَةُ الصَّدِيق:

قال وهب بن منبه: صحبت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلاً غفر لي زلة، ولا أقالني عثرة، ولا ستر لي عورة.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا كان الغدر طبعاً، فالثقة بكل أحد عجز.

(١) النور: الزهر الذي يظهر قبل ظهور الثمار، وبه يستدل على صلاح الشجر واستعداده للإثمار.

وقيل لبعضهم: ما الصديق؟ قال: اسم وضع على غير مسمى، وحيوان غير موجود.

قال الشاعر:

سمعنا بالصديق ولا نراه على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه محالاً نغفوه على وجه المجاز من الكلام

وجوب الرحمة:

قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وقال ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم، ومن لا يغفر لا يغفر له».

الشفاعة:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾.

الإخلاص لله تعالى:

يقول العلامة الأبشيهي: اعلم - هداك الله تعالى - أن الله تعالى واحد لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا ند له، وهو أقرب إلى العبيد من حبل

الوريد، وهو على كل شيء شهيد، حي قادر، جبار قاهر، عالم بجميع المعلومات، لا يعزب عنه مثال ذرة في الأرض ولا في السموات، لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير، خير أو شر، نفع أو ضرر، إلا بقضائه وقدره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو المبدئ المعيد، الفاعل لما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا مهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته، وما من حركة أو سكون إلا وله فيها حكمة دالة على وحدانيته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقال أبو العتاهية:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

الصلاة وفضلها:

قال جل شأنه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.

وقد سميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾. وقال ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، أي: ارحمهم. وقيل: سميت صلاة من الاستقامة، من قولهم: صليت العود على النار: إذا قومته، لأن الصلاة تقيم العبد على طاعة الله تعالى، وتنهيه عن معصيته. قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

وكان ﷺ إذا حزبه أمر^(١) فزع إلى الصلاة. وقال ﷺ: «الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر».

وقال الشاعر:

خسر الذي ترك الصلاة وخابا	وأبى معاداً صالحاً ومآبا
إن كان يجحدها فحسبك أنه	أضحى بربك كافراً ومرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل	غطى على وجه الصواب حجابا

الزكاة وفضلها:

قرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في مواضع شتى من كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، وقال أيضاً جل شأنه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيمُهُمُ

(١) حزبه أمر: نابه واشتد عليه.

تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴿١٠﴾ . وقال عز من قائل : ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ .

وقال ﷺ : « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم ، لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطوؤه بأخفافها ، كلما نفذت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس » .

فضل الصدقة:

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ، وقال أيضاً جل شأنه : ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ ، إلى أن قال : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وقال ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال » رواه مسلم .

وقال عبدالعزيز بن عمير: الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه.

الصوم وفضله:

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

والصوم: عموم وخصوص، وخصوص الخصوص، فصوم العموم: هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة، وصوم الخصوص: هو كف

السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وصم خصوص
الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنية، وكفه عما سوى الله بالكلية.

الحج وفضله:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وقال
ﷺ: «من استطاع الحج ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً». وقال
ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وقيل للحسن: ما الحج المبرور؟ قال: أن ترجع زاهداً في الدنيا راغباً في
الآخرة.

وقال الشاعر في حج الرياء:

يحجون بالمال الذي يجمعونه حراماً إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره يحط ولكن فوقه في جهنم

الدعاء وآدابه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ﴾. وعن ابن عباس قال: قالت اليهود: كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت
تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام، وغلظ كل سماء مثل ذلك،
فنزلت هذه الآية.

شروط الدعاء: واعلم - يا رعاك الله - أن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط:

* شرط الداعي: أن يكون موقناً بأنه لا قادر إلا الله تعالى، وأن الوسائط في قبضته، ومسخرة بتسخيره، وأن يكون دعاؤه بنية وحضور قلب، فإن الله تعالى لا يستجيب دعاءً من قلب لاهٍ كما قال ﷺ. وأن يكون متجنباً لكل الحرام، وألا يميل من الدعاء.

* وشرط المدعو به: أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً، كما قال ﷺ: «ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم». ويدخل في الإثم: كل ما يؤثم به من الذنوب.

ويدخل في الرحم: جميع حقوق المسلمين ومظالمهم. قال ابن عطاء الله: إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتاً، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار إلى السماء، وإن وافق أسبابه نجح، وإن وافق مواقيته فاز.

وأركانه: حضور القلب والخشوع، وأجنحته: الصدق. وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ، ومواقيته: الأسحار.

ومن آداب الدعاء:

أن يكون الداعي مستقبلاً القبلة رافعاً يديه، لما جاء عن رسول الله ﷺ: «إن الله ربكم حيي كريم: يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً».

وَأَلَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيَنْتَهِينَ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدَّعَاءِ، أَوْ لَيُخْطَفَنَّ اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ»، وَأَنْ يَخْفُضَ الدَّاعِيَ صَوْتَهُ بِالْدَّعَاءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

ثُمَّ يَخْتَمُ الْأُبْشِيهِي حَدِيثَهُ بِذِكْرِ دَعَاءِ مَأْثُورٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ يَرِينَا مَبْلَغَ حِلْمِهِ ﷺ وَرَحْمَتِهِ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ آذَوْهُ.

فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ».

* * *

الشَّجَاعَةُ:

الشَّجَاعَةُ عِمَادُ الْفَضَائِلِ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ تَكْمَلْ فِيهِ فَضِيلَةٌ، وَيَعْبُرُ عَنْهَا بِالصَّبْرِ وَقُوَّةِ النَّفْسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْأَلَةِ وَالْحِيلَةِ.

وفسر النبي ﷺ القوة حين مر على أناس يرمون فقال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»، وأفضل العدة أن تقدم بين يدي اللقاء عملاً صالحاً من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم، ودعاء مخلص، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وأمثال ذلك ويقال: الشجاع محبب حتى إلى عدوه، والجبان مبغض حتى إلى أمه.

الشجعان :

- حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه : عم رسول الله ﷺ، أسد الله وأسد رسوله، قتل في غزاة أحد، رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله، وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع، وعظم قتله على النبي ﷺ، ونذر أن يقتل به سبعين رجلاً من قريش، وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة.

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال : والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موة على فراش.

- خالد بن الوليد رضي الله عنه : سيف الله وسيف رسول الله ﷺ، بطل مذكور، وفارس مشهور، في الجاهلية والإسلام. قتل مالك بن نويرة، وقتل مسيلمة الكذاب وكان الفتح الخالد يوم اليمامة، وهو الذي فتح دمشق وأكثر بلاد الشام.

ومنهم الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبودجانة الأنصاري،
وعمار بن ياسر، وعبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير رضي الله عنهم
أجمعين.

التعريض والكناية:

كان ﷺ سائراً بأصحابه يقصد بدرأ، فلقى رجل من العرب، فسألهم
من القوم؟ فقال له ﷺ: «من ماء». فأخذ الرجل يفكر ويقول: من ماء من
ماء؟ يرددها مفكراً لينظر أي العرب يقال لهم ماء. وكان قصد الرسول ﷺ
كتمان أمره، وقد صدق الرسول ﷺ في قوله فإن الله عز وجل يقول:
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾.

وسأل رجل من المعتزلة الشافعي في حضرة الخليفة: ما تقول في خلق
القرآن؟ فسأله الشافعي: إياي تعني؟ قال: نعم. قال: مخلوق. ولم يرد
الشافعي إلا نفسه.

الكرم:

ويتحدث الأبشيهي عن الكرم والسخاء.. فيقول:

قيل لقيس بن سعد: هل رأيت قط أسخى منك؟ قال: نعم، نزلنا
بالبادية على امرأة، فجاء زوجها فقالت له: إنه نزل بنا ضيفان، فجاء بناقته

فنحرها، وقال: شأنكم، فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها، وقال: شأنكم، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل. فقال: إني لا أطعم ضيفاني البائت، فبقينا عنده أياماً والسماء تمطر، وهو يفعل كذلك. فلما أردنا الرحيل، وضعنا مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه، ومضيئنا، فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا: قفوا أيها الركب اللئام، أعطيتمونا ثمن قرانا؟ ثم إنه لحقنا وقال: خذوها وإلا طعنكم برمحي هذا. فأخذناها وانصرفنا.

الفراصة:

ويتحدث الأبشيهي ببراعة عن الفراصة، فيقول:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وقال علي رضي الله عنه: ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

وحكى أبوسعيد الخراز أنه كان في الحرم فقير ليس عليه إلا ما يستر عورته، فأنفت نفسي منه، فتفرس مني ذلك، فقراً: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾، فندمت واستغفرت الله في قلبي، فتفرس ذلك أيضاً فقراً: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾.

وحكي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلاً فقال أحدهما: إنه نجار، وقال الآخر: إنه حداد، فسألاه عن صناعته؟ فقال: كنت حداداً، والآن أنا نجار.

الصدق:

قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾، فمدحهم وبين أن لهم المغفرة والأجر العظيم. وقال عمر رضي الله عنه: عليك بالصدق وإن قتلك. وقال الشاعر:

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبي الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: بم يعرف المؤمن؟ قال: بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه، وقيل: لكل شيء حلية، وحلية النطق بالصدق.

الشعر:

ثم يتحدث العلامة الأبشيهي عن عالم الشعر، فالشعر ديوان العرب، وله حديث طريف عن الشعر والشعراء، وأقسام الشعر، وسرقات الشعراء، والألغاز الشعرية، يقول عن الشعر:

قيل : أمسك النابغة الجعدي أربعين يوماً فلم ينطق بالشعر، ثم إن بني جعدة غزوا فظفروا، فاستخفه الطرب والفرح، فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه، فقال له قومه : والله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا .

– سرقات الشعراء : فمن ذلك قول قيس بن الحطيم، وهو شاعر الأوس وشجاعها :

وما المال والأخلاق إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود

– فنون الشعر : وقد قسم الناس فنون الشعر إلى عشرة أبواب، حسبما بوبها أبوتمام في الحماسة، وقال عبدالعزيز بن أبي الأصمغ : الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فناً، وهي : الغزل، والوصف، والفخر، والمدح، والهجاء، والعتاب، والاعتذار، والأدب، والزهد، والخمريات، والمراثي، والبشارة، والتهاني، والوعيد، والتحذير، والتحريض، والملح، وباب مفرد للسؤال والجواب .

ويورد الأبشيهي الأغاز الشعرية الطريفة التي اشتهر بها ديوان العرب .. ومن ذلك في غزال :

اسم من قد هويته ظاهر في حروفه

فإذا زال ربعه زال باقي حروفه

ويحكي لنا الأبشيهي حكايات عجيبة عن المعمرين والعشاق والكسب واليسر بعد العسر، بأسلوبه الشائق الفتان الذي يستحوذ على قلوبنا، فيقول عن المعمرين في الجاهلية والإسلام: قال الحسن رضي الله عنه: أفضل الناس ثواباً يوم القيامة المؤمن المعمر، وقال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أطولكم أعماراً في الإسلام إذا سدوا». وزعموا أن تبعاً الفزاري كان من المعمرين، وأنه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره، فقال: عشت أربعمئة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية، وستين في الإسلام، قال له: أخبرني عما رأيت في سالف عمرك؟ قال: رأيت الدنيا ليلة في إثر ليلة، ويوماً في إثر يوم، ورأيت الناس بين جامع مال مفرق، ومفرق مال مجموع، وبين قوي يظلم، وضعيف يظلم، وصغير يكبر، وكبير يهرم، وحي يموت، وجنين يولد، وكلهم بين مسرور بموجود، ومحزون بمفقود.

ويتحدث الأبشيهي عن العمل والكسب والصناعات والحرف قائلاً:

أما العمل فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الكسب بيع مبرور، وعمل الرجل بيده». وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن

يحسن». وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قليل مدام عليه خير من كثير مملول، وفي التوراة: حرك يديك أفتح لك باب الرزق.

وكان إبراهيم بن أدهم يسقي ويرعى ويعمل بالكراء، ويحفظ البساتين والمزارع، ويحصد بالنهار، ويصلي بالليل.

وقال بعض الحكماء: لا شيء أحسن من عقل زانه حلم، ومن عمل زانه علم، ومن حلم زانه صدق.

وقيل: من جد وجد، وأنشدوا في المعنى:

إني رأيتُ وفي الأيام تجربة للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر
وقل من جدٍّ في أمرٍ يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأما الكسب: فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾، أي: دروع من الحديد، وذلك أن داود عليه السلام كان يدور في الصحارى فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود، فإذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه، فسمع يوماً من يقول: إني لا أجد في داود عيباً إلا أنه يأكل من غير كسبه. فعند ذلك صلى داود -عليه السلام- في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى، وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته، فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع، فاحترفها واستعان بها على أمره، وصار يحكم منها الدروع.

وقال عليه السلام : « جعل رزقي تحت رمحي »، فكانت حرفته عليه السلام بالجهاد .

وعن الحسن رحمه الله : كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف .
وقيل لمحمد بن مهران : إن ههنا أقواماً يقولون : نجلس في بيوتنا وتأتينا
أرزاقنا، فقال : هؤلاء قوم حمقى، إن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل
الرحمن فليفعلوا .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لا يقعدن أحدكم عن
طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً
ولا فضةً . وقال أيضاً : إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول أله حرفة ؟ فإن قالوا :
لا، سقط من عيني .

واشترى سليمان وسقاً من طعام وهو ستون صاعاً، فقبل له في ذلك،
فقال : إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت .

قال بعضهم في السعي :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح

وقال الإمام الشافعي : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا
سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس . وقال علي رضي الله عنه : التواني مفتاح
البؤس، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة، ومن لم يطلب لم

يجد وأفضى إلى الفساد. وقال حكيم: من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير.

وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها: كان ﷺ يخطط ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويعلف ناضحه. وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان الحكيم خياطاً، وقيل: كان إدريس عليه السلام خياطاً، وقال فيلسوف: إن من القبيح أن يتولى امتحان الصانع من ليس بصانع. وقالوا: لكل أحد رأس مال، ورأس مال الدلال الكذب. وقال عبدالرحمن بن شبل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التجار هم الفجار»، قيل: أليس الله تعالى قد أحل البيع؟ قال: «نعم، ولكن يحدثون فيكذبون، ويحلفون فيحنثون».

قال الفضيل: بخس الموازين سواد في الوجه يوم القيامة، وإنما أهلك القرون الأولى لأنهم أكلوا الربا، وعطلوا الحدود، ونقصوا الكيل والميزان. قال أبو العتاهية:

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

وعن اليسر بعد العسر، والفرج بعد الشدة، والفرح والسرور، يمتعنا
الأبشيهي بقوله:

فيما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾.

وقال الحسن لما نزل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، قال النبي ﷺ: «أبشروا فلن يغلب عسر يسرين»، والحسن لم يدرك النبي ﷺ ومن كلام الحكماء: إن تيقنت لم يبق همٌّ.

وقال أبو حاتم:

إذا اشتملت على البؤس القلوب وضائق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في مكانها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة:

روي أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن - وكان محبوساً - واضربه في مسجد رسول الله ﷺ خمسمائة سوط، فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس

وصعد صالح يقرأ عليه الكتاب، ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء علي بن الحسين -عليه السلام- فأفرج له الناس حتى أتى إلى جنب الحسن، فقال: يا ابن العم مالك، ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك. قال: ما هو يا ابن العم؟ فقال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ثم انصرف عنه. وأقبل الحسن يكررها، فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال: أراه في سجنه مظلوماً، أخرجوه، وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره، فأطلق بعد أيام، وأتاه الفرج من عند الله.

وقال الربيع: لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام علياً رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، قال الربيع: فأرسل المهدي إليّ ليلاً فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت، فقص علي الرؤيا ثم قال: اثتني بموسى بن جعفر. فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن، رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا، فعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال: والله، ما ذاك من شأني، فقال: صدقت، ثم قال يا ربيع، أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله بالمدينة. قال الربيع فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا على الطريق.

وقال إسماعيل بن بشار:

وكل حر وإن طالت بليته يوماً تفرج غماه وتنكشف

ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة، ومنع النوم، فأرسل إلى قائد البحر وقال له: أنفذ الآن مركباً إلى إفريقية يأتوني بأخبارها. فعمد القائد إلى مقدم المركب وأرسله فلما أصبحوا إذا بالمركب في موضعه كأنه لم يبرح، فقال الملك لقائد البحر: أليس قد فعلت ما أمرتك به. قال: نعم قد امتثلت أمرك، وأنفذت مركباً فرجع بعد ساعة، وسيحدثك مقدم المركب، فأمر بإحضاره فجاء ومعه رجل، فقال له الملك: ما منعك أن تذهب حيث أمرت؟ قال: ذهبت بالمركب، فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون إذا بصوت يقول: يا الله، يا غياث المستغيثين يكررها مراراً، فلما استقر صوته في أسماعنا نادينا مراراً: لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين، فجدفنا بالمركب نحو الصوت، فلقينا هذا الرجل غريقاً في آخر رمق من الحياة، فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله؟ فقال: كنا مقلعين من إفريقية ففرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت، وما زلت أصبح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم، فسبحان من أسهر سلطاناً، وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الوحدة، فسبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه.

تعليق عام على كتاب المستطرف:

نأمل أن تكون جولتنا من خلال كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للعلامة الأبشيهي ممتعة، فهو كتاب كما رأينا، عزيزي الشاب، لا نظير له في باب، يغني عن الكثير من الموسوعات الأدبية، ولا تغني عنه كل تلك الموسوعات.

حاول الأبشيهي أن يختار أفضل ما أودعه من سبقه من واضعي الموسوعات من المشاهير أمثال: الزمخشري في كتابه (ربيع الأنوار)، وابن عبدربه في كتابه (العقد الفريد).. بالإضافة إلى ما حواه كتاب (المستطرف) من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الحكماء، وأشعار الشعراء، والحكايات، والنوادر، والغرائب، والطرائف مما تقر برؤيته العيون، وتنشرح بمطالعه الصدور.

وقد جعله صاحبه الأبشيهي في أربع مائة وثمانين باباً، شملت العلوم، والآداب، والفنون، واللغويات، واللسانيات، وقضايا الشعر، والقضاء، والأخلاق، وعجائب المخلوقات.

وختمه بالصلاة على النبي الأعظم محمد ﷺ، وهذا أفضل ختام.. ويكفي الأبشيهي إبداعاً أن ترك لنا موسوعة لا غنى لنا عنها، ولا تحل محلها مئات الموسوعات في الشرق أو الغرب.

